«التغريبة.. بنت الزناتي» تفوز بجلّ جوائز المهرجان القومي للمسرح المصري

القاهرة - فاز عرض "التغريبة.. بنت الزناتي" من إنتاج البيت الفني للفنون الشعبية والاستعراضية بجائزة المهرجان القومي للمسرح المصري في دورته الرابعة عشرة التي أسدل الستار عليها مساء السبت.

والعرض من بطولة فاطمة عادل ومحمد حفظي وأحمد عصمت وأحمد يحيى وعبدالباري سعد ومصطفى يوسف ومحمد علاء وهدى عبدالعزيز ونادين العمروسي وهبة سليمان وهاني عبدالهادي.

كما حصل العرض على جوائز أفضل تأليف للكاتب بكري عبدالحميد وأفضل ممثلة صاعدة للفنانة فاطمة عادل وأفضل مخرج صاعد للمخرجة منار زين العابدين.

وارتكز العرض في تناوله على مأساة سُعدى ومرعي إحدى ملاحم السيرة الهلالية، فبعد اشتداد الجدب بنجد والحجاز، لجأت القبائل العربية إلى الهجرة والترحال بعيدا عن الجزيرة العربية، فيندفع فارس الهلالية أبوزيد، مصطحبا الأمراء الثلاثة: مرعي ويونس ويحيى، أبناء السلطان حسن بن سرحان، إلى تونس، ليقعوا في أسر حاكمها الزناتي خليفة، فيأمر بسجنهم بينما يطلق سراح أبي زيد ليعود إلى نجد.

> العرض يخرج عن نمطية المسرح التقليدي إلى لقاء الممثلين بالجمهور في شكل حلقة دائرية يحيط بها المُشاهدون

وبدلا من إحضار فدية الأمراء الأسرى، يجهّز الجيش لغزو تونس، ثم تدور الدائرة على الزناتي فيقتل بفضل خطة وضعتها ابنته سُعدى التي شغفت بمرعي عندما كان في سجن أبيها، فهي التي أشارت على الهلالية بإرسال ذياب إلى أبيها ومنازلته؛ لأن ذياب أقدر الفرسان على منازلة الزناتي خليفة.

وفي العرض نجحت المخرجة زين العابدين في الخروج به من دائرة الخشبة المسرحية التقليدية إلى لقاء الممثلين بالجمهور لتحقيق لقاء فني يتمّ بين العرض والجمهور في شكل حلقة دائرية يحيط بها المشاهدون، وهي فكرة جديدة ومثيرة.

وما زاد من جمال ونجاح العرض اختيار مخرجته لمجموعة من الممثلين المتميزين، فالفنانة فاطمة عادل قدّمت شخصية سُعدى بشكل مرن وهي تتحرّك أمام الجمهور مترجمة أفكار الشخصية ودوافعها حوارا وجسدا، فالجسد البشري في كل حركاته وسكناته واستقامته وانحناءاته يصبح لغة صامتة مع اللغة الناطقة، فالجسد وسيط في إيصال الموضوع للجمهور من دون استخدام الحوار، والممثلة هنا وبتوجيه من المخرجة والكيروغراف مناضل عنتر تمكّنت بنجاح من توظيف الرقص والحركات الإيقاعية لتخدم الدراما وتُكمّلها.

كما تميّز في العرض كل من هبة سليمان في دور العرافة بصوتها القادم من عمق الصعيد واستخدامها المتقن لتعبيرات وجهها، وعبدالباري سعد في دور شيطان ذياب ولعبه بوعي شديد من منطق الغراب الذي يحوم حول ضحاياه بنواح مزعج رغم رشاقة طيرانه، وأحمد شومان في دور والد سُعدى الذي لعبه باقتدار وتمكّن.

وتعدّ "السيرة الهلالية" إحدى أشهر السير الشعبية عربيا، وتبلغ نحو مليون بيت شعري، وإن كان الخيال الشعبي أضفى عليها الكثير من الخوارق والمبالغات، وهي تروي قصة خروج بني هلال من مضاربهم في الصحراء إلى تونس مرورا بمصر وسعيهم لاستعادة أمجاد الأمة العسكرية، وتُبرز مدى التزامهم بقيم الوفاء والشرف.

ويعدّ الفارس أبوزيد الهلالي سلامة ذوالسحنة السوداء الذي يستخدم لون بشرته في التخفي، وذياب بن غانم أمير قبيلة بني زغبة، والزناتي خليفة ملك تونس أبرز أبطال تلك السيرة.

والسيرة الهلالية مثل غيرها من الملاحم الشعبية وردت في أكثر من نسخة، وعلى أكثر من لسان، وتمّت معالجتها في مصر إذاعيا وسينمائيا ومسرحيا، على غرار البرنامج الإذاعي الشهير الذي قدّمه الشاعر عبدالرحمن الأبنودي بالاشتراك مع الشاعر جابر أبوحسين في سبعينات القرن الماضي، ومسلسل "السيرة الهلالية" إنتاج 1997، وفيلم "أبوزيد الهلالي" إنتاج عام 1947، ومن أحدث المعالجات العرض المسرحي "التغريبة.. بنت الزناتي".

وتنافس على جوائز المهرجان ثلاثة وثلاثون عرضا من إنتاج مسارح الدولة والقطاع الخاص والجامعات والشركات والبنوك والمؤسسات الأهلية المصرية.

وفاز بجائزة أفضل عرض ثان في المهرجان "دوجز" لفرقة مسرح الشباب بالبيت الفني للمسرح وهو من إخراج كمال عطية، كما فاز العرض ذاته بجوائز أفضل شعر لمحمود جمال الحديني وأفضل موسيقى لمحمد حسني وأفضل تصميم استعراضات لضياء شفيق وأفضل دعاية مسرحية لأحمد مجدي.

وذهبت جائزة أفضل مخرج إلى محمد جبر عن عرض "أنا مش (لست) مسؤول" من إنتاج مسرح الهوسابير وجائزة الدراماتورج إلى محمد السوري عن عرض "أحداث لا تمت للواقع بصلة" من إنتاج وزارة الشباب والرياضة.

وفاز بجائزة أفضل ممثل باسم الجندي عن عرض "التجربة الدنماركية"، فيما فاز بجائزة أفضل ممثل في دور ثان ياسر مجاهد عن عرض "مشعلو الحرائق" من إنتاج مركز الإبداع بالإسكندرية.

وفازت بجائزة أفضل ممثلة هالة سرور عن مسرحية "جنة هنا" إنتاج البيت الفني للمسرح، فيما فازت يارا المليجي بجائزة أفضل ممثلة في دور ثان عن عرض "سالب واحد" إنتاج المعهد العالي للفنون المسرحية.

وفاز عرض "قاع" من إنتاج البيت الفني للمسرح بجائزتي الديكور والإضاءة، فيما ذهبت جائزة تصميم الأزياء إلى نعيمة عجمي عن عرض "أحدب نوتردام" من إنتاج البيت الفني للمسرح أيضا.

ومنحت لجنة التحكيم ثلاث شهادات تميّز لعروض "مهاجر برسبان" و"الجانب الآخر" و"سالب صفر".

وأقيم حفل الختام على المسرح الكبير لدار الأوبرا المصرية بالقاهرة، وتضمن فقرة استعراضية بعنوان "الجائزة الكبرى" من إخراج إسلام إمام وشعر طارق علي وألحان هشام جبر.

وقالت إدارة المهرجان إنها أجلت تقديم جائزة الجمهور التي كانت ستمنح للمرة الأولى هذا العام من أجل دراسة الضوابط اللازمة لها ووضع قواعد التصويت وتحديد قيمتها المالية.

«التغريبة.. بنت الزناتي».. مقاربة مسرحية جريئة للسيرة الهلالية

الموسيقى التقليدية في موريتانيا.. صمود تتهدّده العولمة

«أزوان» سجل غنائي ثري يحفظ للموريتانيين أمجادهم وقيمهم وتاريخهم

«أزوان».. موسيقى الصحراء الصامدة في وجه النسيان

رغم أنها ظلت شفاهية ولم تخضع للكتابة بعد، ولا تزال محصورة في أسر محدودة تتوارثها وتتعلمها بالتلقين والمران والممارسة، إلاّ أن الموسيقى التقليدية الموريتانية حافظت على صفحات مشرقة من تاريخ المجتمع، وتميّزت بثراء لا نظير له، مشكّلة جزيرة نغمية خاصة، تتداخل فيها المقامات السباعية والخماسية.

نواكشوط - ينقسم المجتمع الموريتاني إلى العديد من المكوّنات من بينها مكوّن الموسيقيين التقليديين المنضوين ضمن عائلات معروفة تسمى محليا بـ"إيكاون". فهذا المكوّن يتوارث الموسيقى كابرا عن كابر، حيث إن كل جيل يُسَلِّمُ المشعل إلى الجيل التالي.

وقد جعلت هذه الخصوصية من الموسيقى أو الغناء حكرا على تلك العائلات التي تحظى بتقدير خاص واحترام كبير عرفانا لها بالجميل في حفظ التراث والقيم.

وتختلف الموسيقى في موريتانيا عنها في الدول العربية الأخرى، لأنها تأثّرت بالشق الآخر غير العربي من المجتمع، ألا وهو المكوّن الزنجي الأفريقي، وهو ما منحها ثراء وتنوّعا كبيرين.

فن متوارث

تقول نجمة الغناء الموريتانية الشهيرة المعلومة بنت الميداح "إن الموسيقى في هذه الربوع تختصّ بآلاتها الإيقاعية المحدودة جدا، بل والمنحصرة في آلتين اثنتين فقط هما 'التيدينيت' للرجال و'أردين' للنساء. مؤكّدة أن المجتمع الموريتاني توزّع قديما حسب مهام الحياة التي لا غنى عنها، فكل مُكوّن يؤدّي دورا معينا وفق تخصّصه".

وتعرف الموسيقى العربية في موريتانيا بـ"أزوان"، وتختصّ بها وبالغناء أسر معروفة هي "إيكاون"، وتقوم على آلتين وتريتين هما التيدنيت وهي آلة ذات أربعة أوتار يعتقد أنها عود عربي تم تحويره بتأثير من الموسيقى الأفريقية، وهي خاصة بالرجال. أما الآلة الثانية فهي أردين، ولها ثلاثة عشر وترا وطبلة للإيقاع وتختصّ بها النساء.

ورغم أنه لا يُعرف تاريخ محدّد لظهور هاتين الآلتين، فإن فترة ازدهار "أزوان" كانت في ظل إمارة أولاد مبارك في الحوضين شرقي موريتانيا في القرن الثامن عشر.

وتقول أيقونة الغناء العربي في بلاد شنقيط "نحن الأسر الفنية توارثنا الاهتمام بالموسيقى جيلا عن جيل، والآباء المؤسّسون كان لديهم قدر كبير من الاهتمام والعناية بها، فابتكروا هذا النمط الفريد منها".

وأوضحت أن الموسيقى الموريتانية تمثل سجلاً يحفظ للبلاد أمجادها وقيمها وتاريخها، مبيّنة أن إيكاون هم المجموعة الوحيدة التي سمح لها المجتمع بالغناء وتخليد الأمجاد والمآثر عن طريق صنف خاص يعرف بـ"التهيدين"، وهو التغني شعرا وأداء بالفروسية والشهامة والكرم.

وأشارت بنت الميداح إلى أن الموسيقى الموريتانية يمكن أن تُصنّف ضمن الموسيقى الخماسية التي تشتهر بها دول الساحل وبعض الدول الآسيوية وأميركا، مبيّنة أن آلتي العزف فيها لا توجدان عند أي شعب آخر.

وقالت إن الآلة النسائية أردين تسمى أيضا "جامع أنجاره" لأنها تجمع الطرق الثلاث للموسيقى المحلية، وتتعارف جميع العائلات الفنية في مختلف أنحاء موريتانيا على هذه الطرق، ولا تخرج عنها أبدا رغم اختلافها في الفروع أو ما يعرف محليا بـ"الأشوار".

ونبّهت نجمة الموسيقى الموريتانية إلى احتمال وجود تشابه في بعض الإيقاعات مع البلدان المجاورة، خاصة من أفريقيا الواقعة جنوب الصحراء.

وأبرزت بنت الميداح ضرورة تجديد نظام الموسيقى المحلية الذي لم يتغيّر منذ عصور ولم يعد يواكب وتيرة الحياة السريعة اليوم، مع المحافظة على الأصل والطابع المميّز.

وقد سعت الفنانة بجهدها الخاص خلال مشوارها الحافل إلى تطوير هذا النظام من خلال أغان عديدة مزجت فيها بين الأصالة والمعاصرة فتركت التراث على حاله وأدخلت عليه إيقاعات جديدة من بعض الآلات العصرية مثل القيثارة والبيانو وقدّمتها للعالم بشكل مفهوم.

وعبّرت صاحبة أغنية "حبيبي حبيتو" المشهورة في موريتانيا والمغرب العربي عن قناعتها الراسخة بأن التراث، من أجل تقديمه إلى العالم، لا بد له من لبوس أو شكل يناسب الذائقة المتجدّدة للبشر، لكن من دون المساس بلبّه "فالتراث عندي مقدس".

وأوردت كمثال على ذلك إحدى أغانيها التي مزجت فيها بين مقطوعة قديمة لوالدها مختار ولد الميداح مع كلمات للشاعر الموريتاني الراحل محمد ولد أحمد يوره بأدائها الشخصي وبلحن عصري، قائلة "هكذا في نظري يكون التجديد".

> التيدنيت آلة ذات أربعة أوتار يعتقد أنها عود عربي تم تحويره بتأثير من الموسيقى الأفريقية

والمعلومة بنت الميداح الشهيرة باسم معلومة، من مواليد الأول من أكتوبر 1960، وهي مغنية وكاتبة أغان وناشطة سياسية. ولدت في جنوب غرب موريتانيا لعائلة ضليعة بالموسيقى الموريتانية التقليدية، فأبوها مختار ولد ميداح كان فنانا وعازفا مشهورا، وجدها محمد يحيى ولد بوباني كان كاتبا موهوبا وعازف آلة تيدينت بارع، وأمها عائشة بنت البُبّان تنتمي لإحدى العائلات العريقة في مجال الموسيقى التقليدية. وهي التي علّمت معلومة حين كانت في السادسة فقط من عمرها العزف على آلة أردين الوترية التقليدية التي تعزف عليها النساء.

وتعتبر معلومة من أهم فناني جيلها، حيث تميّزت بتطويرها لأسلوبها الخاص الذي جمع بين الموسيقى الشعبية وموسيقى البلوز والجاز والإليكترو. ومن خلال ظهورها في التلفزيون، تناولت موضوعات محلية مثيرة للجدل مثل الحياة الزوجية والفقر وعدم المساواة، ما جعلها تخضع للرقابة في موريتانيا في بداية التسعينات، ممّا جعلها تلجأ إلى الغناء خارج بلادها بحلول نهاية ذلك العقد.

وبعد رفع الحظر عنها، استأنفت معلومة مسيرتها الغنائية وحصدت شعبية كبيرة وخاصة بين الأجيال الشابة. وبإطلاقها لألبومها الرابع "إكنو" (2014)، عبّرت الفنانة الموريتانية المخضرمة عن آرائها المتعلقة بحقوق الإنسان ومكانة المرأة في المجتمع من خلال كلمات أغانيها.

وهي إلى جانب غنائها، حاربت للحفاظ على موسيقى بلدها، وحثّت الحكومة على إنشاء مدارس للموسيقى، كما أنشأت مؤسّستها الخاصة لدعم التراث الموسيقي، وأقيم مهرجان موسيقي خاص بها عام 2014.

مزيج موسيقي

يرى الفنان الشاب سدوم ولد أيده أن الموسيقى هي لغة الشعوب في التعبير عن قيمها والمحافظة على عاداتها ومُثلها العليا. وقال "إن لكل شعب موسيقاه التي تميّزه عن باقي الشعوب، وللموسيقى الموريتانية مجموعة من الخصائص تجعل منها مزيجا بين الموسيقى العربية والموسيقى الأفريقية الزنجية". ويوضح أن هذه الخصائص تتمثل في بعض اللمسات الإيقاعية المتأثرة بالبيئة الصحراوية التي يعيش فيها المجتمع. واعتبر أن الموسيقى الموريتانية، بمقاماتها الخمسة، كأنها تحكي سيرة الإنسان من طفولته إلى شيخوخته مرورا بعنفوانه، مبرزا أن هذه المقامات تتماشى مع حالات الإنسان في تطوّره العمري وتقلّبه النفسي.

وأضاف سدوم أن الفنان الموريتاني يشكّل بمفرده أوركسترا متكاملة، فهو، من خلال آلتي التيدنيت وأردين، يقوم بعزف كل الألحان في جميع المقامات، وهذه ميزة يختصّ بها عن نظرائه في البلدان الأخرى، حيث أن الواحد منهم يقضي شطرا كبيرا من حياته وهو يدرس العزف على آلة واحدة ويتخصص فيها ويظل مشتغلا بها وحدها طول حياته.

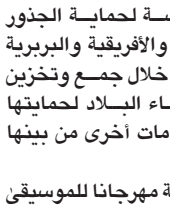

المعلومة بنت الميداح

لا مفر من تطوير التراث، لكن من دون المساس بجوهره

أما "إيغيو"، أي الفنان الموريتاني، فهو يلحن ويغني ويعزف ويضبط الإيقاع ويرتجل الألحان بل ويقرض الشعر المرتجل أثناء الغناء. وقدرة الفنان الموريتاني على تأليف الألحان وما أتيح له من وجود على تخوم حضارات متعددة أدّيا إلى ميلاد موسيقى غنية تتألّف من المئات من الألحان الموقعة أو غير الموقعة، تبلغ أحيانا أكثر من سبعين معزوفة ولحنا في المقام الواحد.

ورغم اقتصار ممارستها على شريحة إيكاون التي تتوارثها فقد كان توظيفها الاجتماعي كثيفا، واقترنت بالمكان والزمان والحدث فخلّدت البطولات وكانت الذاكرة الجمالية والوجدانية فاحتضنت الأدب وحركت العواطف ووحّدت الأذواق.

ومع ذلك يرى الكثير من الباحثين المختصّين أن الموسيقى التقليدية تواجه جملة من التحديات، من أبرزها رحيل كبار الفنانين الذين يتقنونها، وتغييب الفنانين عن تصوّر السياسات الثقافية للحكومات، وغياب أيّ رعاية أو اهتمام من الدولة بهذا الجانب من تراث البلاد، فضلا عن موقف ديني غير متصالح مع الفن.

ويقول نقاد إن التعاطي مع هذه التحديات "يتطلب حتما تدخلا رسميا من الدولة من خلال تبني استراتيجية تدمج بعدي الحماية والتطوير، وإنشاء معاهد لتدريس هذه الموسيقى"، وهو ما عملت على إرسائه المعلومة بنت الميداح، حيث تمكّنت في العام 2011، من إنشاء "مؤسسة معلومة" لحفظ وترقية التراث الموسيقي الوطني.

وتهدف المؤسسة لحماية الجذور الموسيقية العربية والأفريقية والبربرية في موريتانيا من خلال جمع وتخزين الموسيقى من أنحاء البلاد لحمايتها وإتاحتها لاستخدامات أخرى من بينها التعليم.

كما أقامت الفنانة مهرجانا للموسيقى الموريتانية عام 2014، وجاء ذلك بعد فترة قلق طويلة بشأن استبدال الموسيقى الموريتانية بالموسيقى المالية والمغربية التي يفضلها الشباب.